الترهيب والمقاومة والمخيال الجندري في الغرافيتي القاهرية

منى أباظة

الجامعة الأميركية في القاهرة

mona.abaza@gmail.com

ترجمة وإعداد هدى طالب

hudasrage@hotmail.com

الملخص

لا يـزال تمكيـن المرأة قضية من القضايـا الجوهرية في تحديد مسـتقبل الثورات العربية غير المكتملة[1]. فقد علّق العديد من الباحثين والناشـطين والنِسـويّات بقلق على وضع المرأة الخطيـر وغير المسـتقر بعـد اندلاع الثورات وانتشـار مداها فـي كل من تونس ومصـر وليبيا. وأعـرب العديـد منهم عـن تخوفه من أن تهيمـن المسـائل الخلافية في موضـوع «الجندر»[2]، أو النوع الاجتماعي[3]، في منطقة الشـرق الأوسـط في السـنوات المقبلة. كمـا نقل عن القادة المسـيحيين تخوّفهـم من ضغوط الإسـلاميين لإجبار النسـاء علـى ارتداء زي «مناسـب أكثر» لمجتمعاتهـم[4]. وقد لفت آخرون إلـى أن المواقف المعادية للمرأة يمكن ملاحظتها في أنحاء

---

(1) مقالة نشرت باللغة الإنكليزية على الموقع الإلكتروني **جدليّة Jadaliyya** في2013/ 6/ 30، انظر:
http://www.jadaliyya.com/pages/index/12469/intimidation-and-resistance_imagining-gender-in-ca

وكل الصور المدرجة في المقال بعدسة د. منى أباظة وقد ترجمت المقالة وأعدتها مشكورةً الباحثة هدى طالب سراج.

(2) http://azzasedky.typepad.com/egypt/2012/05/mutilating-bodies-the-muslim-brotherhoods-gift-to-egyptian-women-opendemocracy.html

(3) Hania Sholkamy «Why women are at the heart of Egypt's political trials and tribulations» in **Democratic Wealth**, 24 January 2012.
http://www.opendemocracy.net/5050/hania-sholkamy/why-women-are-at-heart-of-egypt's-political-trials-and-tribulations

(4) Mariz Tadros, «Egypt's women have had enough of being told to cover up» in **The Guardian**, Tuesday 29 May 2012.
http://www.theguardian.com/commentisfree/2012/may/29/egypt-women-cover-up-coptic

الـدول العربيـة في مرحلة ما بعد الثورات[5]، لأن الإسـلاميين حين تولوا السـلطة كشـفوا عن توجهاتهم، فتصرفوا كوكلاء لـ «النيوليبرالية الإسلامية» وهي أيديولوجية تعمل، جنباً إلى جنبٍ، مع سـواها من التدابير المقيّدةَ للمرأة. وفي المحصّلة، فقد أشار هؤلاء المراقبون إلى مختلف الأفعـال المروّعـة التي ملأت شـوارع القاهـرة والتي تتجه في اتجاه واحد: اسـتهداف أجسـاد النسـاء[6]. يتطرق هذا البحث إلى دراسـة التغييرات المتّصلة بالسياسات ومسألة «الجندر» كما برزت في فنّ الغرافيتي الذي أشعل جدران القاهرة وشوارعها بالألوان.

الكلمات المفاتيح: غرافيتي؛ النسـاء المحتجّات؛ الجندر؛ الثورات العربية؛ جسد المرأة؛ مصر.

(5) Deniz Kandiyoti, «Disquiet and despair: the gender sub-texts of the 'Arab spring'» in **Democratic Wealth,** 26 June 2012.

http://www.opendemocracy.net/5050/deniz-kandiyoti/disquiet-and-despair-gender-sub-texts-of-arab-spring

(6) http://www.opendemocracy.net/5050/hoda-elsadda/egypt-battle-over-hope-and-morale,

Abstract

Terrorism, resistance and gender imaginary in Cairo Graffiti

Mona Abaza

Translated and designed by Huda Taleb

The issue of women's empowerment continues to be of paramount significance in determining the future of the incomplete Arab revolutions. Numerous scholars, activists, and feminists have commented with concern about the precarious position of women after the contagious revolutions, which started in Tunisia, Egypt and Libya. Many have expressed anxiety that the controversial gender issue in the Middle East will dominate the coming years, as even Christian leaders transmit Islamists' pressure on women to dress «more modestly» to their communities. Others have remarked that misogynist attitudes are observable today across the post-revolutionary Arab states, because the Islamists in power have revealed themselves to be agents of an «Islamic neoliberal» ideology that works hand in hand with constraining measures regarding women. These observers have pointed to various shocking acts that all converge in one direction: the targeting of women's bodies. This article attempts to weave a text on the recent changes pertaining to gender issues and politics in Egypt with the flowering art of graffiti that has filled the streets of Cairo.

Keywords: Graffiti; protesting women; gender; Egypt; Arab revolutions; woman's body.

المقدمة

جسّد الرئيس حسني مبارك الكهل، وعهده الطويل، المؤسسة البطريركية القمعية في مصر. وبعد الإطاحة بالرئيس في 11 فبراير / شباط من عام 2011، حلّ مكانه مجلس عسكري جلّه من الكهول استمر في استخدام العنف لإخضاع الاحتجاجات. وكانت موجات الانتقام والثأر هذه موجّهة نحو الشباب، كأن الصراع الذي تمثّل في عملية تشويه الأجساد الفتية كان بين جيلين: جيل الجنرالات الكهول وجيل المحتجين الشباب.

وبعد قرابة عام من انتخاب الرئيس محمد مرسي الذي ينتمي إلى تنظيم الإخوان المسلمين، تنامى شعور عام بأن شيئاً لم يتغير فعلياً في موضوع حقوق المواطنين. فأي من المسؤولين عن عمليات قتل المتظاهرين منذ يناير/كانون الأول 2011 لم يدن أو يحاكم. وهذا الأمر الذي ولّد موجات احتجاج جديدة قابله حكم الإخوان بموجات عنف واستخدام للبلطجية وتنامٍ لعمليات التحرّش الجنسي بغية إرهاب المواطنين ومنعهم من الاحتجاج في ميدان التحرير.

لكن هذه السياسات القمعية والبيانات المشرعنة لها من قبل المسؤولين العسكريين والساسة الإسلاميين، على حدّ سواء، أصبحت موضع سخرية وتعليقات لاذعة من قبل المعارضة وإعلامها؛ وكانت أشدها وطأة رسومات الغرافيتي التي أنتجها الناشطون المصريون الشباب في طول البلاد وعرضها. فأضحت تصاويرهم المناهضة للسلطة واحدة من أقوى الوسائط التعبيرية التغييرية والمناهضة للنظام. وفي الواقع، فالكثيرون يعتقدون أن المجلس العسكري قد سبق وهُزم معنوياً، ومن قبل مرسي، بفضل سخرية الجمهور من العنف عبر النكتة الشعبية والغرافيتي. في ما يلي يتطرّق البحث إلى دراسة التعبيرات الشعبية لهذه الحقبة وتطوّراتها من خلال رسوم الغرافيتي التي غطّت جدران القاهرة وشوارعها.

العنف العام ضد النساء: مصر تحت حكم المجلس العسكري

باستلام المجلس الأعلى للقوات المسلحة السلطة في فبراير / شباط 2011، أصبح التحرّش الجنسي[7] وسيلة واضحة وعلنية لتخويف المعارضين وإذلالهم، وتحديداً الحَراك النسوي المعارض. إذ تمّ استخدام الاعتداءات الجنسية لترهيب الصحافيات الأجنبيات[8] فضلًا عن تشويه وتحطيم صورة ميدان التحرير الذي أصبح منطقة تتمتع فيه النساء، بالأمان أقله من التحرّش الجنسي، منذ احتوائه الحَراك الثوري في يناير/ كانون الثاني وفبراير / شباط 2011.

في مارس/آذار 2011 أخضعت المتظاهرات لما أصبح يعرف بـ «كشوف العذرية» من قبل عسكريين. وبرّر المتحدث باسم الجيش هذا العمل بأنه إجراء لمنع المتظاهرات من لوم الجيش عن مسؤوليته في «فضّ بكارة» بعضهن[9]. سميرة إبراهيم التي كانت إحدى ضحايا عملية «كشف العذرية» تقدّمت بدعوى ضد الطبيب المسؤول في الجيش. ولكنه بُرِّأ مثل غالبية ضباط الشرطة المتورطين في قتل وجرح آلاف المتظاهرين في يناير/كانون الثاني وفبراير/ شباط 2011[10]. تجلى هذا الحدث في ميدان التحرير في القاهرة من خلال غرافيتي مميزّ (رسم 1).

(7) Gamal Essam El-Din, «Shura MPs fault protesters for Tahrir Square rapes, sexual harassment» in **Ahram online**, Monday 11 Feb 2013.

http://english.ahram.org.eg/NewsContent/1/0/64552/Egypt/0/Shura-MPs-fault-protesters-for-Tahrir-Square-rapes.aspx

(8) **Lauren Wolfe/CPJ Guest Blogger, «**Lara Logan sees parallels in Tahrir Square sex assault» in **The World Post**, 29 June 2012.

http://www.huffingtonpost.com/committee-to-protect-journalists/lara-logan-sees-parallels_b_1638682.html

(9) Elizabeth Flock «Samira Ibrahim is the woman behind Egypt's ban of virginity tests» in the **Washington Post,** Dec 27, 2011.

http://www.washingtonpost.com/blogs/blogpost/post/samira-ibrahim-is-the-woman-behind-egypts-ban-of-virginity-tests/2011/12/27/gIQACKNgKP_blog.html

(10) Protesters slam acquittal of virginity tests defendant On, Translated from Al-Masry Al-Youm **Egypt Independent**, Tue, 13/03/2012.

http://www.egyptindependent.com/news/protesters-slam-acquittal-virginity-tests-defendant

رسم 1: سميرة إبراهيم، شارع محمد محمود، ميدان التحرير، القاهرة.

[في قراءة لهذه الصورة، أبرز فنان غير معروف[11] بورتريه الناشطة سميرة إبراهيم، صاحبة قضية «كشوف العذرية»، تبرز فيه شامخةً، متسيّدةً المشهد، تليها مدرّعةٌ لا توازيها حجماً، وجنودٌ توحدوا في وجوههم المستنسخة حاملة صورة المجنّد الطبيب أحمد عادل المتهم بإجراء كشوف عذرية للفتيات اللاتي اعتقلن بعد فض اعتصام 9 مارس/ آذار 2011].

سعى خطاب النظام السابق، والذي استمر تداوله بعد فبراير/ شباط 2011، إلى تشبيه المحتجّات بالبغايا لتركهن بيوتهن والمشاركة في المظاهرات. وعملاً بهذا المنطق، فهنّ يستحققن أن يغتصبن. وللأسباب عينها قام بعض الدعاة السلفيين وأحد مقدمي البرامج التلفزيونية المناصر لمبارك في توصيف متظاهرة[12]، كانت إحدى ضحايا عنف الأمن، بـ «العاهرة» لأنها ظهرت شبه عارية بعد الاعتداء عليها. كانت

(11) مليحة مسلماني، غرافيتي الثورة المصرية، **المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات**، بيروت ط1 يناير 2013، ص 112. وفي رسم غرافيتي آخر لمجموعة «اسبراي» حمل تعليقاً تحت صورة مطابقة لسميرة إبراهيم: «مش هتقدروا تكسروني». مرجع سابق ص 111.

تعرفنّا على «أحمد عادل» من خلال ما كُتب تحت رسمه في إحدى لوحات الغرافيتي: «أحمد عادل الموجي - مغتصب عروض بناتنا». مرجع سابق ص 111.

(12) Karen Habashi, «The objectification of Women in Egypt» in CNN I Report , April 16. 2013. http://ireport.cnn.com/docs/DOC-958303

هذه الضحية قد شاركت في مظاهرة مناهضة للمجلس العسكري قرب مقرّ مجلس الوزراء في 17 ديسمبر/كانون الأول 2011. وكانت ترتدي الجينز والعباية والحجاب. تجدر الإشارة إلى أن قوات الأمن هاجمت في اليوم السابق للحادثة المتظاهرين بوحشية متسبّبة بقتل إثني عشر[13]، وجرح المئات وسحل إحدى الجثث إلى كومة القمامة. أما بعد ظهر ذلك النهار، فقد ضربت الشرطة العسكرية وسحلت المتظاهرة المحجّبة[14]، تاركة إياها مكشوفة الصدر وحمّالة صدرها الزرقاء ظاهرة للعيان[15].

ولسخرية القدر، أصبحت حمّالة الصدر الزرقاء هذه رمزاً سيميائياً للنضال الوطني ضد كل من المجلس العسكري والسلفيين على حدّ سواء. وفي 20 ديسمبر/كانون الأول 2011، قام نشطاء الثورة بإحدى أكثر المظاهرات «النِسْوية» أهمية ضد سياسات المجلس العسكري؛ انطلقت هذه المظاهرة من ميدان التحرير نحو ميدان طلعت حرب واستطاعت استقطاب الآلاف. يومها هتف المتظاهرون ضد المجلس العسكري وردّدوا شعار «نساء مصر خط أحمر» حاصدين زخماً شعبياً هائلاً. وبعد أن قام العسكر بمحو الشعارات والرسوم في شهر نوفمبر، ما لبثت جدران المدينة أن امتلأت بمئات الرسوم لـ «الحمّالة الزرقاء».

بعيد الحادثة، انتج الفنان التشكيلي محمد عبلة مجموعة مميّزة من اللوحات الزيتية بعنوان «ذئاب»، رسم فيها صاحبة «الحمّالة الزرقاء» تتعرّض للسحل والضرب من قبل رجال أمن رؤوسهم كرؤوس الذئاب (رسم 2). وفي تظاهرة فنية احتجاجية عرض عبلة رسوماته في ميدان عابدين وجال بها مع مجموعة من الفنانين عبر الميدان. ثمّ نشرها لاحقاً على حسابه الفيسبوكي، فعممها المتظاهرون مثل رسومات الغرافيتي الأخرى لـ «الحمّالة الزرقاء» في الساحات تذكيراً بالحادثة وتعبيراً عن رفضهم لها.

(13) Sunday updates: Tear gas fired in Tahrir Square, police beat and arrest protesters in **Egypt**. **Independent**, 21/11/2011

http://www.egyptindependent.com/news/sunday-updates-tear-gas-fired-tahrir-square-police-beat-and-arrest-protesters

(14) Lina El-Wardani, «Women activists refuse to be cowed by sexual violence, marginalization» in **Ahram online**, Thursday 8 Mar 2012.

http://english.ahram.org.eg/NewsContent/1/64/36225/Egypt/Politics-/Women-activists-refuse-to-be-cowed-by-sexual-viole.aspx

(15) أصبحت تعرف بـ «فتاة التحرير» و«ست البنات» وعُرفت حادثة الحمّالة الزرقاء بـ حادثة «فتاة التحرير».

رسم 2: ''مش هننسى يا ست البنات''

[بناء بصري لوني صاخب يؤرخ لواقعة سحل البلطجية للفتاة المنقبة والتي أطلق عليها اسم ''ست البنات'' لأنها بقيت مجهولة الهوية للإعلام. ترك الاعتداء الصارخ عليها آثاراً مهمة ومؤلمة في الذاكرة الجَماعية. وتكلم الفنان باسم الشعب معلناً أنهم لن ينسوا الجريمة].

النساء المحتجّات: مصر تحت حكم الإخوان

في عهد الرئيس محمد مرسي، استمرت الممارسات العنفية أداة تكتيكية لإرهاب المتظاهرات. فقد هوجمت صحافية شابة بوحشية من قبل مجموعة مساء يوم 21 أكتوبر2012، بعد أن حدثت المواجهات والصدامات بين أعضاء من تنظيم الإخوان المسلمين ومعارضين منعوا من دخول ميدان التحرير[16].

بعد شهر على الإعلان الدستوري للرئيس مرسي، قامت الحركات الشبابية

(16) Female reporter ‹savagely attacked and groped, in Cairo during live broadcast for French TV news channel in **Daily Mail Reporter**, 21 October 2012.

http://www.dailymail.co.uk/news/article-2220849/Sonia-Dridi-attack-Female-reporter-savagely-attacked-groped-Cairo-live-broadcast-French-TV-news-channel.html

رسم 3: «لا» متعدّدة الأشكال و«الحمّالة الزرقاء»

[«لا» لتعرية الشعب – «لا» لقانون الطوارئ – «لا» للكائنات الفضائية – «لا» لحكم العسكر – «لا» لقتل شيوخ الأزهر – «لا» للجدران العازلة – تحيا الثورة سلمية. غرافيتي نصي نموذجي للتعبير عن الرفض والمقاومة بتقنية الاستنسل لمجموعة «لا» من أعمال الفنانة بهية شهاب[17]].

الناشطة بنصب مخيّم احتجاجي سلمي خارج القصر الرئاسي في القاهرة. وتصاعدت وتيرة الاحتجاجات بالرفض والآلات (رسم 3) وتزايدت الاعتداءات الجنسية على ساحة الرفض، وبلغت الذروة حين أرسلت جماعة الإخوان المسلمين مناصريها المسلحين لمهاجمتهم في الخامس من كانون الأول/ ديسمبر 2012. نصب المسلحون غرفهم الخاصة للتعذيب بمساندة رجال الشرطة[18] مكرّسين بذلك مستوى عنفي نوعي جديد. فعلى ما يبدو كانت هناك عمليات

(17) بهية شهاب فنانة وباحثة وأستاذة مساعدة في قسم الفنون في الجامعة الأمريكية في القاهرة، أقامت معرضاً وألفت كتاباً بعنوان «لا ألف مرة»، قامت بهما بتجسيد كلمة «لا» بألف شكل مختلف استمدتها من فترة تمتد 1400 عاماً. وعند اندلاع الثورة قامت برسم «لا» متعددة الأشكال مع عناوين مختلفة مؤلفة بذلك غرافيتي نصي مع خرق وحيد هو رسمة الحمّالة الزرقاء.

(18) Mariz Tadros «Signs of Islamist fascism in Egypt?» in **Democratic wealth**, 8 December 2012. http://www.opendemocracy.net/5050/mariz-tadros/signs-of-islamist-fascism-in-egypt

اغتصاب ممنهجة للنساء المحتجّات في ميدان التحرير من قبل مجموعات منظمة من المجرمين عملوا على اصطيادهن وعزلهن قبل اغتصابهن. ومذّاك تكررت عمليات الاغتصاب هذه بانتظام، وكأن التحرش الجنسي أصبح مادة دسمة ومخططاً لها لتشويه صورة الميدان. وفي موازاة ذلك، وعبر تكتيك ممنهج من قبل النظام لترهيب النساء المتظاهرات، اعتدى مسلحون على عشرين امرأة في حوادث متفرقة جرت في غضون عشرة أيام خلال شهر نوفمبر 2012 [19]. وفي فبراير 2013، حمّل بعض أعضاء مجلس الشورى - المهيمن عليه من قبل إسلاميين - المسؤولية لضحايا الاعتداءات الجنسية من النساء لأنه كان حرياً بهنّ ألاّ يتظاهرن في ميدان التحرير[20]. وبمعنى آخر فقد شرّع النظام عمليات الاعتداء والاغتصاب.

هذا العمل الغرافيتي المشبع باللون الأسود من أعمال ميرا شحادة وزفت. عُرف العمل بالأوساط الشبابية باسم «دائرة الجحيم» لما يمثل من حلقات البلطجية حول النساء للاستفراد بهن والاعتداء عليهن في عمليات ممنهجة ومتكررة. تكلل العمل الذي أنجز في الذكرى الثانية للثورة بتعابير تهكمية وجارحة تداولها المعتدون مثل: «متخافيش احنا جاين نساعدك»، و«بنت تتاكل الصرامي»، و«أنت مش شايف هي لابسة أيه»، و«هي أصلاً عايزة كده»[21]...

إن تكتيك الإذلال عبر عملية الاعتداء الجنسي على النساء، شابة كانت أم عجوزاً، له سوابق في مصر. ومردّ ذلك في أكثر التعليلات شيوعاً بأنه نتيجة الكبت الجنسي أو المحرّمات والتقاليد المتولدة من روادع دينية تفرّق بين الجنسين. أما الأسباب الأخرى فهي العوامل الاقتصادية الشديدة الصعوبة والمرتبطة بالنمط

(19) Mosireen, «Sexual Torture is Systematic: from Mubarak and Scaf to the Muslim Brotherhood (video)» in **Jadaliyya**, 24 June 2013.
http://www.jadaliyya.com/pages/index/12410/sexual-torture-is-systematic_from-mubarak-and-scaf

(20) Gamal Essam El-Din, «Shura MPs fault protesters for Tahrir Square rapes, sexual harassment» in **Ahram online** , Monday 11 Feb 2013.
http://english.ahram.org.eg/NewsContent/1/0/64552/Egypt/0/Shura-MPs-fault-protesters-for-Tahrir-Square-rapes.aspx

(21) النصوص الواردة في العمل من إنتاج الفنانة ميرا شحادة التي كانت لها أعمال غرافيتي متعدّدة تضمّنت رسائل واضحة ضد التحرش الجنسي. كما أضاف الفنان زفت في هذا العمل الفني بعض التعابير وهو فنان الغرافيتي الذي حملت العديد من جدران القاهرة كماً من توقيعه.

رسم 4: "دائرة الجحيم"

[رسم على حائط المجلس الأعلى للقوات المسلحة في شارع محمد محمود، يصوّر الاعتداء على النساء بالسكاكين في ميدان التحرير، حيث تصاعدت وتيرة العنف عامة والعنف الجنسي خاصة، في عامي 2011 و2012].

الاستهلاكي السائد فضلاً عن عدم القدرة على تحمّل كلفة الزواج في مجتمع يضم ثمانية ملايين عازب وعازبة في عمر يفوق 35 عاماً، وفي موازاة عُرفٍ يقضي بتحريم العلاقة الجنسية خارج إطار الزواج. وفي رأيي تبقى هذه التعليلات التنميطية بسيطة. فعندما تتحول السلطة الاستبدادية، والتي تدّعي أنها تنطق باسم القيم الإسلامية وتدافع عن الشريعة، إلى مرتكب أساسي في عملية العنف الجنسي في الفضاء العام، فلما لا يتبع «المواطنون» المسار العنفي عينه؟

يسجّل يوم الأربعاء الأسود في 25 مايو 2005 علامة فارقة حيث تعرضت المتظاهرات لأول عملية اعتداء جنسي في تاريخ مصر الحديث. فقد قامت النساء بالتظاهر أمام نقابتي الصحافة والمحاماة ضد التعديل الدستوري الذي يضمن وصول ابن الرئيس مبارك لسدّة الرئاسة. مورست العمليات العنفية الجنسية ضدهن من قبل البلطجية المدفوعي الأجر التابعين للحزب الوطني الحاكم. وتبع هذه الحادثة عمليات اغتصاب في جميع أنحاء مدينة القاهرة طالت نساء يافعات، أكانت محجبات أم لا، في موسم الاحتفالات الدينية في 2006. ولا تتعدى كل الاعتداءات على النساء منذ فبراير 2011 كونها طبعة مستنسخة، إذ ظهرت بلطجية العهد السابق من جديد وعاثت في المدينة تحرّشاً واعتداءً، بينما وقفت قوى الأمن متفرّجة، إن لم نقلْ متواطئة.

رسم 5:

[غرافيتي مؤلف من ستة مقاطع على شكل مربعات ملوّنة تضمّنت رسومات ونصوصاً ترفض التحرش الجنسي. إلى اليمين: «لا للتحرش» (أسفل)، «اللي يقولك يا فرسه ارفسيه» و«أوقفوا التحرش» (أعلى). في الوسط: «مهما بان أو ما بنش جسمي حر ما يتهنش» (أسفل)، «اللي يقولك يا مشنه اديله بالاجنة» (أعلى). إلى اليسار:«استرجل واحميها» (أسفل)، «اللي يقولك يا بطل وري له العضل» و«اوقفوا التحرش» (أعلى)].

النساء في العملية الانتخابية والإخوان في مجلس الشعب

اصطدم الظهور الساحر للنساء في ميدان التحرير بغيابهن شبه المطلق عن مجلس الشعب المنتخب في نوفمبر[22]، والذي حُلّ لاحقاً. فبالمقارنة مع المغرب وتونس، سجلت مصر أدنى تمثيل للنساء في مجلس الشعب، إذ فازت ثماني سيدات فقط وتم تعيين اثنتين[23]. تعود بعض أسباب هذه الهزيمة بحسب هانيا

(22) Nicola Pratt, «Egyptian Women: Between Revolution, Counter-Revolution, Orientalism, and «Authenticity» Authenticity» in **Jadaliyya,** 6 May 2013. http://www.jadaliyya.com/pages/index/11559/egyptian-women_between-revolution-counter-revoluti

(23) وفق هانيا شلقامي شكّلت النساء نسبة 17٪ في البرلمان المغربي، بالرغم من فوز الأحزاب الدينية؛ في حين حازت على نسبة 28٪ من المقاعد في البرلمان التونسي. وعلى النقيض فقد فازت النساء فقط بنسبة 2٪ في مصر.

رسم 6:

[الصورة تحمل عملين فنيين متجاورين: ''الوصيفات'' من أعمال الفنان علاء عوض (إلى اليمين) في مقابل القسم الأول من جدارية ''الثعبان المجنّح'' الرائعة للفنان عمار أبو بكر].

شـلقامي إلى كـون «دولة راعية للحركات النِسْـوية» فرضت «كوتا غير شـعبية ضمن ممارسات فاسدة في العملية الانتخابية».

تشـير رؤوس الثعبـان الثلاثـة فـي هذا الجـزء مـن الجدارية إلى قـوات الأمن الداخليـة (القبعـة السـوداء)، وقـوات الجيـش (القبعـة الخضـراء)، وقوات الشـرطة العسـكرية (القبعـة الحمـراء). اسـتخدم الفنان فـي عمله رمـوزاً اسـتلهمها من الفن المصري القديم حيث وظف الثعبان، وهو رمز الخلود، ليشـير به إلى الشـر والأذى وسعي النظام إلى البقاء والخلود في الحكم[24].

(24) انظر: مليحة مسلماني، **غرافيتي الثورة المصرية**، مرجع سابق، ص 223 – 224.
الجدران تهتف – جرافيتي الثورة المِصرية، كتاب جماعي، زيتونة 2012، ص 492 – 493.
هنا روبيلين، ترجمة هبة شبلي، «بحبك يا بلادي» «تحولات الربيع العربي – الوطنية والجرافيتي»، **مجلة – فكر وفن** – معهد غوته – تشرين الثاني/ نوفمبر 2013.
http://www.goethe.de/ges/phi/prj/ffs/the/a100/ar12240681.htm

في المقابل، رسم علاء عوض لوحته «الوصيفات» تفاعلاً مع جدارية بكر (رسم 6)، فولّد بذلك متعة فكرية للمتلقي. إن تصوير المجلس العسكري على شكل ثعبان ضخم مشهد لا يحتاج إلى شرح، أما نتاج عوض الفني المضاف إلى تلك الجدارية فهو أمر مثير للاهتمام. سبع فتيات فرعونيات في مواجهة الوحش، الثعبان بثلاثة رؤوس، ينحنين بمنتهى الود والوقار نحوه. وبيت القصيد أن إيماءاتهم الرقيقة المعبّرة ترمز إلى حكمة النساء المصريات على مدى قرون (كتابات هيروغليفية مصاحبة للوصيفات) وبالتالي فهي تجسد النقيض للشر والأذى الذين يمثله الثعبان. إنه «التفوق من خلال الحكمة» في الرسالة التي حملتها هذه المشهدية الغرافيتية المركبة.

جسّدت جلسات مجلس الشعب القصيرة الأمد، من يناير إلى يونيو 2012، هاجس الإسلاميين الخطر والمتمثل بممارسة السيطرة على جسد المرأة من خلال مسوّدة الدستور الرجعية المنحى التي تطالها. فقد تضمّنت مشاريع قوانين تجيز ختان الإناث [25]، وتطالب بخفض سن الزواج للفتاة إلى تسع سنوات[26]، وترفض قانون الخُلع الذي يجيز للمرأة تقديم طلب الطلاق.

رسم 7: «**مَتْصَنَّفْنيش**»
[لا تصنفني (بالمحكية المصرية)
وبورتريهات لثلاثة نساء إحداهن
محجبة وأخرى غير محجبة وواحدة
منقبة، عمل مجموعة «نون النسوة»،
القاهرة شارع محمد محمود[27]].

(25) Amr Dalsh, «Egypt to revive female genital mutilation in the name of Islam?» in UK Raine timeline, May 16, 2012.
http://rt.com/news/egypt-revive-mutilation-alarm-372/

(26) http://www.hrw.org/ar/news/2012/10/08-1

(27) «نون النسوة» مجموعة تدافع عن المرأة وقضاياها ومكتسباتها. تعرّف عن نفسها بأنها مجموعة من الشابات والشباب تهتم بقضايا المرأة وتهدف إلى كسر «التابوهات» المجتمعية وذلك من خلال استخدام الغرافيتي في ما أطلقوا عليه «جرافيتي حريمي».

النائبة البرلمانية عن حزب الحرية والعدالة عزّة الجرف كانت من أشد المؤيدات لهذه المشاريع التي دعت إلى إلغاء قانون مكافحة التحرش الجنسي معللة ذلك بأن «سبب التحرّش هو عُري النساء، وبالتالي فالمتحرّش غير مخطئ» إذ أن المسؤولية تقع على النساء في قضية التحرش لأنهن بثيابهن الخفيفة يثرن غرائز الرجال[28]. ومما أثار قلق الحركات النسائية دعوتها إلى إلغاء قانون الخُلع ومنع إثبات أبناء الزنا؛ ومطالبتها بإلغاء القانون الذي صدر حديثاً والذي يمنح الجنسية للأطفال من آباء أجانب. والطامة الكبرى تمثلت بدعوتها إلى الاعتراف بحق الزوج باغتصاب زوجته إذا تمنّعت عن إقامة علاقة جنسية معه ومنعها من السفر من دونه (كي يتم لاحقاً فرض قانون طلب إذن من الزوج يسمح للزوجة بالسفر). كما تمنّت إلغاء قانوني إخبار الزوج زوجته الأولى برغبته بالزواج بأخرى، وتمكين الزوجة المطلقة من شقة الزوجية[29]. وجاهرت بدعمها لختان الإناث، الذي منع عام 2007 بعد نضال طويل للهيئات النسائية، ووسمته بـ «جراحة تجميلية»[30]. فكيف تختلف النائبة الجرف عن السلفيين الذين يشعرون بالتهديد لوجود المرأة في المجال العام والذين يسعون لشطبها من الحياة السياسية (الأمر الذي يلغي وجود الجرف في مجلس الشعب)؟ ويطالب السلفيون بإلغاء قانون تحديد سن الزواج منادين بالزواج عند سن البلوغ وبرجم الزانيات؛ وهي كلها أمور تُشرّعُ للتعدي على حرية المرأة. وكيف يمكن للمرأة ألاّ تشعر بالخطر حين يرسل الإخوان، كجزء من خدماتهم الاجتماعية في المجتمعات الفقيرة والمهمّشة، «وحدات صحية متنقلة» إلى الصعيد لتقديم «خدمة» ختان الإناث كما لاحظت ماريز تادرس؟ وبالرغم من نفي الإخوان ذلك[31]، فقد أكد باحثون وناشطون أن المطويات التي وزعوها في قرية أبو عزيز في

(28) Sawsan Gad, «We mold the collective memory of sexual assault» in **Egypt Independent,** Tue, 03/04/2012.

http://www.egyptindependent.com//opinion/we-mold-collective-memory-sexual-assault

(29) http://nwrcegypt.org/

(30) Maggie Michael, **«Egypt Officials Ban Female Circumcision»** in Washington post, Friday, June 29, 2007.

http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2007/06/29/AR2007062901284.html

(31) Mariz Tadros, «Mutilating bodies: the Muslim Brotherhood's gift to Egyptian women» in **inclusive Democracy,** 24 May 2012.

http://www.opendemocracy.net/5050/mariz-tadros/mutilating-bodies-muslim-brotherhood's-gift-to-egyptian-women

المنيـة قد روّجت بالفعل للخدمة[32]. وكانـت هذه الوحدات الصحية تجول وتصول في القرى بينما كان النظام الصحي في حالة انهيار.

الخاتمة: ثورة غير مكتملة

ويبقـى هذا المقال غير مكتمل، كما هو حال الثورة المِصرية نفسـها. هي ثورة غيـر مكتملة لأن العديد في مصر يشـعرون أن الإسـلاميين خطفوا ثورتهم بمسـاندة الجيـش. وبالتالي فليس هناك من اسـتنتاجات يمكن الـكلام عنها. وفي موازاة ذلك تتصاعـد وتيرة رسـومات الغرافيتـي متخطية كل محـاولات طمسـها وإزالتها. ومنذ تسـلّم مرسي سدّة الرئاسـة حاول الإسلاميون السيطرة على الحيطان وإنتاج غرافيتي خاص بهم وطمس رسـومات مناوئيهم، لكنهم فشـلوا في بث روح النكتة ولم يكن لرسوماتهم أي تأثير يذكر.

تـم التحضير لحركة احتجاج شـعبية عارمة في عدة محافظـات نظمتها أحزاب وحـركات معارضـة فـي 30 حزيـران 2013 ضد الرئيس مرسـي عبر حركـة «تمرد». وتبقى شـوارع مصر نابضة بالثورة والثوار، وتبقى فنون الشارع/ الغرافيتي خير شاهد علـى حركات الاحتجـاج، وتبرز هـذه السـرديات البصرية بوصفها خيـر معين على أحقية المطالبة بالمساواة بين الجنسين. فهذه «الأيقونات» المضحكة والمثيرة تعلمنا أن لا رجوع إلى الوراء. فالثقافة الشـبابية البديلة ستستمر في إبداء مظاهر الاحتجاج وخوض حربها ضد نظام بطريركي متسلّط بائد عبر الفن والفكاهة.

ولعل هذا الرسـم هو خير دليل على روحية الثورة المسـتمرة، وحضور النسـاء وفاعليتهنّ، وفنيّة التعبيرات ومبتكرها في فن الشارع بامتياز، فن الغرافيتي القاهرية.

(32) Lauren E. Bohn and Omnia Al El Desoukie, **«Christians in Egypt: A storm within the storm» Via Global Post**, by—excerpt, Egypt, 05/24/2012.
http://azzasedky.typepad.com/egypt/2012/05/christians-in-egypt-a-storm-within-the-storm.html

رسم 8: سيدة تحمل قنبلة في يدها من أعمال كايزر[33].

[في تصوير استعادي لدعاية الصابون التي انتشرت في منتصف القرن الماضي في المجلات والصحف، تطل هذه السيدة حاملة قنبلة يدوية بدل الصابونة. حركة التضفير السيميائية هذه تؤشر إلى مدلول يختصر صورة المرأة المصرية كفاعلة أساسية في الثورة. وفي تشكيل حروفي متكرر لـ «لا» التي أنتجتها الباحثة والفنانة بهية شهاب (رسم 3)، توسطت رسمة هذه السيدة كتابة لفنان مجهول تضمنت شعار «لا لحكم العسكر» ومقولة بابلو نيرودا الشهيرة «يمكنك أن تدهس الورود لكنك لا تستطيع أن تؤخر الربيع»].

(33) الجدران تهتف – جرافيتي الثورة المصرية، ص 210.
والفنان كايزر Keizer من أشهر رسامي غرافيتي الثورة.